كان عيش التلميذ فيها رخاء فيض رزق وحكمة فلسفية
تخليق بنا ونحن اباة الـ (م) يم ان ننبذ الشؤون الدنية
وبأن نقتدي باسلافنا من رفعوا اصرح المنار السلية
فمن العار ان نكون بعصر الـ علم ما عندنا ولا كلية
اترى حالنا تبدّل ام نبـ قي مدى الدهر أمة جاهلية
ليت قومي يذكرون عصاهم يتلافون خطبنا بروية
ومن العجز ان ننام عن السعـ ـي ونرجو سعادة مرضية

القاهرة

حسين وصفي رضا

سدوم القديمة وسدوم الجديدة

اختلف علماء الآثار ورجال البحث والاستقصاء في موقع سدوم اختلافهم في سواها من المسائل العلمية العويصة والمشاكل التاريخية الغامضة والمباحث الاثرية الدارسة فذهب فريق منهم الى ان موقع سدوم كان في الجنوب الغربي من بحيرة لوط في جانب الجبل المعروف بسدوم. وذهب آخرون الى ان هذه المدينة القديمة كانت ممتدة من جنوبي بحيرة لوط الى غربي شاطئ نهر الاردن. وزعم غيرهم ان موقع سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم كان على شاطئ بحيرة لوط ثم غمرت بعد ان خربت. وصرح فريق آخر بان موقع هذه المدن هو بحر الميت نفسه او بحيرة لوط عينها وقد استدل اصحاب هذا المذهب على ذلك باقوال التوراة. فكان موقع سدوم اذا صحّ مذهبهم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة. ومهما تكن تلك الآراء متباينة فقد اجمع اولئك الباحثون على ان مواقع تلك المدن كان في انحاء بحر الميت في القسم الغربي من قارة آسيا

يظهر للمطلع على الاصحاحين الـ١٨ و١٩ من سفر التكوين ـ السفر الاول من الاسفار الخمسة لموسى الكليم ـ ان سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم المتقدم ذكرها قد انحطت آداب سكانها بحيث لا تطيقها شريعة الهية كانت او ادبية او اجتماعية فقضى الله جلّ جلاله بان يعاقب سكانها واطلع ابراهيم الخليل يومئذ على ما سيحل باهل سدوم فسأل واحداً من اهل الله ممن زاروه من قبل خلاصها والرفق باهلها. فذهب اثنان منهما الى سدوم ولما لم يجدا فيها الا فشو الفاحشة والشر الفاضح اخرجا لوط ابن اخي ابراهيم مع امرأته وابنتيه الى بلدة مجاورة اسمها صوغر. ثم هطلت نار من السماء فاحرقت سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم ومزقت

شمل اهلها كل ممزق

ولقد صادق كثير من العلماء القدماء على رواية موسى بشأن احراق سدوم وخراب سائر المدائن المذكورة وتناولها شعراء اليونان ودونوها في قصائدهم بيد انهم مزجوها بخرافاتهم الفاسدة. ومن اولئك المقرين على تلك الرواية استرابون الجغرافي الشهير المولود في نحو ٢٠ سنة ق. م. ويوسيفوس المؤرخ العبراني الذي ولد سنة ٣٧ ق. م. واذ ان آراء اهل التنقيب والعلم تباينت في موقع سدوم فقد اختلفت ايضاً آراء المفسرين من علماء الدين في كيفية احراق سدوم وسائر المدائن السابقة الذكر

ذهب فريق من العلماء الى ان الله انزل الكبريت والنار على تلك المدن حقيقة فاحرقتها ودمرتها ودكتها الى الحضيض. ودليلهم على مذهبهم ان التوراة المنزلة صرحت بالامر بحيث لم تبق شكاً فيه. وارتأى غيرهم من رجال الدين الى ان بركاناً ناريًا انفجر في بطن الارض فاحرق تلك المدن ودليل ارباب هذا المذهب هو ان ابراهيم الخليل تطلع تلى تلك البقعة فرأى اذ ذاك دخاناً كثيفاً متصاعداً من قلب الارض.

وبعدُ فقد عنيت بعض الجمعيات الاوربية بالبحث عن سدوم وسواها افادة للعلم باثر يجدونه في ارجائها. ورجال العلم الحقيقي في هذا العصر ـ عصر التحقيق والبحث ـ باذلون مافي وسعهم لكشف النقاب عن كل مسألة غامضة تفيد العلم والمجتمع.

وقرأت ان احد السياح الباحثين وجد تمثالاً من ملح في جانب جبل سدوم في جنوبي بحيرة لوط ولعل هذا التمثال هو نصب امرأة لوط التي تقول التوراة عنها بانها عوقبت بذلك من اجل مخالفتها لامر رجلي الله فالتفتت الى وراثها لترى ما حلّ بسدوم

اما تاريخ احراق سدوم ودمارها فيرجع الى ايام ابراهيم الخليل جد اليهود. وتاريخ ابراهيم يرد الى زهاء اربعة آلاف سنة. ولما كانت التوراة اهم مستند لدرس العلماء الملاحدة على رغم الحادهم لانها اقدم تاريخ من حيث المادة التاريخية يرجعون اليها في كثير من المسائل القديمة. ولما كانت موضوع بحث الباحثين من ائمة الدين وعلمائه من شرقيين وغربيين لم ار بدًّا من الرجوع الى التوراة في بعض وصف مدينة سدوم وعمورة وتوغلهما في القدم وانهمران

فقد سمى موسى الكليم تلك البقعة مدن دائرة الاردن ووصفها بقوله انها جنة وان اراضيها تسقى بمياه نهر الاردن ولا غرو فقد هام الشعراء في هذا العصر بجمال بقاع بحر الميت فنظموا فيها القصائد. وأمها السياح من كل حدب وكانت كتاباتهم مجمعة على جمال موقع تلك البقعة وخصب اراضيها وطيب هوائها وعذوبة مائها. ولم يرد في التوراة شيء عن عدد سكان تلك المدن الاربع غير ان كثرة فساد الآداب في سدوم وعمورة خصوصاً على ذلك العهد

تدل على ان تينك المدينتين كانتا مأهولتين بالسكان . والفاحشة في الغالب لا تفشى بكثرة الا في المدن الكبيرة وحيث يكثر الزحام وينمو السكان

وصرح موسى الكليم بانه كان لكل مدينة من مدن الدائرة ملك . فكان بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنآب ملك ادمه وشمئبير ملك صبوئيم وانه قد حدث لهؤلاء الملوك مع ملوك شنعار والاسار وعيلام وجويم وان ابراهيم الخليل استرجع من هؤلاء الملوك مدن الدائرة والاسلاب بعد ان تغلبوا على ملوك مدن الدائرة وان ابراهيم تبعهم الى حوبه قرب دمشق شمالاً هو ورجاله الثلاثمائة والثمنية عشر حيث استظهر عليهم

***

هذا بعض ما لخصته واستنتجته من ابحاث رجال العلم والدين التي طالعتها . وقد اذكرني بالكتابة في الموضوع حادث سان فرنسيسكو التي سماها رجال الدين في اميركا « سدوم العالم الجديد » لما اصابها في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ من البلايا التي تشبه بلايا سدوم العالم القديم

اكبر ولاية في الولايات المتحدة بمساحتها هي تكسس وثاني ولاية كليفرنيا واكبر مدينة واشهرها في كليفرنيا سان فرنسيسكو او هي اكبر مدينة في غربي الجبال الصخرية في الولايات المتحدة تقع على شاطئ الاوقيانوس الباسيفيكي من الجهة الشرقية منه وهي مفتاح ولاية كليفرنيا وميناها امين جدًا . والحاجة العمرانية تستلزم وجودها في تلك البقعة دع عنك اهمية موقعها التجاري والبحري . ولقد دعاها الاميركيون باريس المدن الغربية في الولايات المتحدة وعروس الباسيفيك . ولا غرو فان مركزها من اجمل مراكز الدنيا وهي كعبة السياح واصحاب البذخ والترف ومتنزه ارباب المال والجاه نفيها الملاهي على تباين انواعها والمقاصف على اختلاف اسمائها والحانات وما يتبعها ويتصرف عليها . وكما ان اهل العالم الجديد سموا مدينتهم الغربية باريس كليفرنيا هكذا دعوها رتاج الذهب لكثرة التضار في ولاية كليفرنيا لان هذه الولاية اغنى الولايات في البلاد المتحدة بمعادنها الثمينة لا بجميعها فقط بل بتضارها وسائر معادنها .

ولم تكن شهرة قصورها الفخيمة ودورها الجميلة وابنيتها الشاهقة ومحالها البديعة باقل شهرة من قصور سائر مدائن الولايات المتحدة الكبرى كنيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وسواها ففيها ابنية عظيمة وجميلة وثمينة مؤلفة من ست طبقات الى سبع عشرة طبقة وهي الثالثة من نوعها في العالم الجديد . اما نزلها الشهير المعروف بالبالاس الذي كلف بناؤه سبعة ملايين دولار (ريال) فهو اجمل نزل في العالم الجديد بل في سائر اطراف المعمور . وما قيل في نزل عروس الباسيفيك من حيث الجمال والاتقان والشهرة يقال في دار الحكومة التي انفق في سبيل بنائها تسعة ملايين دولار اميركي واشتغل مئات العملة في بنائها ربع قرن .

ويرجع تاريخ هذه المدينة الى اكثر من مئة سنة ايام كانت فرضة تجارية ليس فيها من العمران الا اليسير على انها اخذت بالتقدم والنماء منذ ثلاثة ارباع قرن شأن المدن الراقية حتى بلغت مابلغته وناهز سكانها اربعمائة الف نسمة

هذا بعض وصف مدينة سدوم العالم الجديد قبل الحادثة الاليمة التي ألمت بها. اما اليوم فقد صارت قصورها البديعة رماداً ودورها الجميلة خراباً وسائر ابنيتها الثمينة قفراً يباباً حتى ابتلعت الارض كثيراً من رياضها الغناء وحدائقها الزهراء واصبح معظمها اطلالاً دوارس وآثاراً طوامس

تناول شعراء الاميركان فاجعة غادة الباسيفيك ونظموا فيها القصائد المؤثرة فرثوها بما يذيب سماعه قلب الجماد . واشتغلت الاسلاك البرقية في كارثتها العظيمة في كل انحاء البلاد وبلغ نبأها ارجاء العالم المتمدن وانقضت اسابيع على المصيبة والجرائد الاميركية بالاجمال تصف هذا الخطب الجلل

حدث زلزال شديد في الساعة الخامسة والدقيقة الثانية عشرة من صباح ١٨ نيسان (ابريل) الماضي في مدينة سان فرنسيسكو دام دقيقتين فانشقت الارض وابتلعت شطراً من المدينة بما فيها ومادت الابنية وسقطت الدور ودمرت القصور وفاضت مياه الاوقيانوس على المدينة واخذ البركان في جوف الارض ينذرها بالويل والشقاء والدمار . حدث هذا الزلزال بينما كان الناس نياماً فزعزع اركان المدينة واشد ما كانت وطأته على اهم بيوت التجارة والاعمال فيها ثم توالت الزلازل فاتت على البنايات المتزعزعة ودمرتها وثبتت الابنية المتينة المشيدة حيا كلها بالحديد بادئ بدء

ثم تصدعت انابيب الغاز من الزلازل التي توالت بشدة فشبت النار في المدينة والتهمت مابقي من الدور الفخيمة والابنية العظيمة وحاول رجال المطافيء اخماد النيران ولكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ثم عادوا بالديناميت لنسف الابنية المجاورة لالسنة اللهيب الهائلة فلم يستطيعوا ايقافها وما انقضى بضع ساعات على شبوب النيران في الحي التجاري حتى اتصلت باحياء السكن فالتهمتها فاصبحت المدينة كطود من نار

واذا رأى الفرنسيسكيون ان عروسهم الجميلة قد دكت الى الحضيض ودفنت طي اللحود فرّ منهم نحو مئة الف نفس الى اوكلاند كاليفرنيا وفرّ الثلاثمائة الف الباقون الى الجهات المجاورة للمدينة والمطلة عليها يتوسدون الغبراء ويلتحفون السماء ويقاسون آلام الطوى اشكالاً ويذوقون البلوى الوانا حتى بيع رغيف الخبز بدولار . ولم تحصر الفاجعه الاليمة في عروس الباسيفيك بل قد امتد خطبها الفادح الى غيرها من البلاد المجاورة فاحلت بها اضراراً فاحشة

ولما حلت هذه الكارثة واتصلت انباؤها المشؤومة بالشعب الاميركي الغيور قامت البلاد باسرها تجمع الاموال وتبعث بها و بالمآكل والملابس الى المنكوبين لتخففوا عنهم وطأة الخطب وبرهنوا لهم تبرؤهم وغيرتهم انهم شركاؤهم بالضراء وان الاموال التي جمعت ترجع مجد مدينة المغرب وان الشعب النشيط الذي اصبح في مدة قرن في مقدمة شعوب الارض بالنفوذ والثروة والتمدن والذي عمر القفار واقام المدن والامصار يستطيع ان يبني على انقاض سدوم العالم الجديد مدينة من اجمل مدن العالم

ولقد بلغت الاعانات التي قدمت الى منكوبي سان فرنسيسكو حتى الآن ثلثمائة مليون دولار وتبرع كثير من كبار المتمولين الاميركيين كل منهم بمئة الف دولار وتبرع مجلس الامة في العاصمة (واشنطن) بمليون دولار وكثير من افراد الاميركان الموسرين تبرع كل منهم بالمبالغ الكثيرة. ومما يذكر ان محسناً دفع الى حاكم مدينة نيويورك خمسة وعشرين الف دولار لمنكوبي سان فرنسيسكو ولم يذكر اسمه

وقد قدرت خسائر سان فرنسيسكو بـ ٣٥٠ مليون دولار. وكانت اشدها وطأة على ١٧ غنياً وغنية من الفرنسيسكيين فخسروا وحدهم ٩٧ مليون دولار. وكانت خسارة السوريين في الكارثة ٣٢ الف دولار ولم يفقد منهم احد وقدر الهالكون من الاميركيين بالمئة نفس. واما قيمة الارزاق المضمونة في سان فرنسيسكو فهي ٢٦٨ مليون دولار اذا دفعت شركات الحريق المبلغ برمته تضطر خمس عشرة شركة منها الى اشهار افلاسها

هذا وان حريق سان فرنسيسكو اعظم ما حدث من نوعه حتى الآن في الولايات المتحدة باعتبار خسارة المال والانفس . فحريق شيكاغو الذي حدث في يومي الاحد والاثنين الواقعين في ٨ و٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٧١ اتلف من الارزاق ما قيمته مئتا مليون دولار . على حين كان عدد البنايات التي اكلتها النار ١٧٫٤٥٠ بناية. ومساحة البقعة التي جرى فيها الحريق ٧٣ ميلاً . اما مساحة البقعة التي حدث فيها الحريق في سان فرنسيسكو فهي ٢٦ ميلاً وكذلك حريق بالتيمور وبوسطن وكالفستن لا يحسب شيئاً بالنسبة الى حريق سان فرنسيسكو . اما الزلازل التي حدثت في سان فرنسيسكو في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ فقد حدث مثلها في نفس المدينة في تشرين الاول سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٨. على ان الخسائر التي سببتها اذ ذاك على فداحتها لا تذكر في جنب الخسائر الفاحشة التي نجمت عنها في العهد الاخير

وفي سنة ١٨١١ حدثت زلازل في الولايات المتحدة هي اعظم ما جرى من نوعها حتى يومنا هذا فانفجت كوات الارض من شدتها على مسافة ثلاثمائة ميل من حدود ولاية

اوهايو الى حدود سانت فرانس وانخفضت الارض مئات اقدام في بعض الانحاء وارتفعت في سواها ودمرت البلاد الكثيرة وسببت الخسائر الفادحة. وقد ابتدأ حدوث هذه الزلازل في ١٦ كانون الاول (يناير) سنة ١٨١١ وظلت تتراجع بكل طولها وحولها حتى اوائل شهر شباط (فبراير) ١٨١٢. وروى المنود ـ سكان اميركا الاصليون ـ انهم شاهدوا في القرن السابع عشر بركانًا ناريًا في بقعة سان فرنسيسكو يقذف المواد الهائلة من جوف الارض الى مئات الاقدام علوًا في الجو. ولقد عرف العلماء الباحثون ان موقع سان فرنسيسكو هو على نفس خط بركان فزوف في ايطاليا الذي لا تزال ويلاته متوالية على العباد هناك.

ومن المحتمل اعادة مجد سدوم العالم الجديد لان الهمم العلية المبذولة في عمران المدينة تخترق جبال المصاعب الصعبة المرتقى ولا تقيم مدينة بل مدائن تكون من اقوى واجمل وابدع مدائن العالم. وقد باشر المهتمون للامر باستجلاب الكميات الطائلة من الحديد لانهم عزموا على ابتناء القصور والدور والبنايات الكبيرة من الحديد ورأوا ان الابنية القائمة بالحديد قلما تؤثر فيها الزلازل ولعله يتأتى للعمرين في المستقبل اختراع طريقة لعمران لا تقوى عليها قوات الطبيعة. ولا عجب فالعصر عصر عجائب وغرائب. وما متاعب هذه الحياة الا عقاب لما يجنيه الانسان فسبحان الفعال لما يريد

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

في قلبي

خواطرُ في قلبي يضيء بها الفكرُ ... أشعتها في كل منبثقٍ فجرُ
لها رونقٌ من حكمة العبر التي ... تسامت بها الدنيا أو انحدر الدهرُ
كأمن شعاع الشمس والريح والندى ... تناول سرَّ الحسن في أرضه الزهرُ
تجلوتْ على الايام أسرار وحيها ... بوصف يقولُ الناسُ ان اسمه الشعرُ
تجسمَ فيهم لفظهُ وتحكمتْ ... معانيه حتى ذاك درٌّ وذي سحرُ
اذا قلبوا في شطر بيت عيونهم ... تنزَّلَ من وحي القلوب لهم شطرُ
وما عرفوا من اخدعة السحر عندها ... أقطرٌ على زهر هنالك أم سطرُ
كأنَّ يراعي من أشعة «رنتجٍ» ... يري من وراء الخبر ماستر الخبرُ
بلفظٍ ترى معناهُ من قبل كمهِ ... كما فاحَ من زهرٍ على غصنهِ العطرُ
تهاداهُ اهواء النفوس كأنه ... من الدهر للنفس التي ساءها عذرُ

وما كلماتي غيرُ نبضِ العلى وما ... لساني إلاَّ قلبها وهيَ الصدرُ
اعدتُ نشاطَ الدهرِ بعدَ مشيبهِ ... فقد باتَ مختالاً وطرَّتهُ البدرُ
فقولوا لحسادي على بُعدِ بيننا ... تظنونَ انَّ السحب فوقَ السما جسرُ
فان كانَ في هذي العصافيرِ طائرٌ ... هجفٌ فما شاؤا سوى اسمك يانسرُ(١)
ولي كلماتٌ لو يطيرونَ مرَّةً ... لأمست ومنها كلُّ قافيةٍ وكرُ(٢)
ولكنهم إن يصعدوا يتسفلوا ... دواليكَ ذا شبرٌ وذلكمُ شبرُ(٣)
صغارٌ على كبرٍ وشرٌ ففيحةٍ ... وسخريةٍ طفلٌ صغيرٌ بهِ كبرُ
على انها من سنةِ الكونِ لم يزلْ ... يضايقُ من خلطِ الترابِ بهِ التبرُ

* * *

وفي القلبِ مني لوعةٌ لو تخلصتْ ... من الصبرِ يوماً واحداً قلَّ الصبرُ
وفيهِ وكمْ فيهِ من الحبِّ والجوى ... فذاكَ لهُ امرٌ وهذا لهُ امرُ
وفيهِ من الآمالِ ما العمرُ دونهُ ... فلا سعدَ الا انْ يزادَ لنا عمرُ
وفيهِ منَ الايامِ ماضٍ مُكفنٌ ... بدمعي عليهِ من طفولتهِ قبرُ
وفيهِ وما فيهِ وذا الدهرُ لم يزلْ ... يعدُّ علينا موجةً وهي البحرُ
على انني لم أفرغِ الهمَّ كلهُ ... ولكنهُ نزرٌ وقلَّ لهُ النزرُ
تعلمتُ لطفَ الوصفِ من لغةِ الهوى ... ففيها جنونُ القلبِ قيلَ لهُ الهجرُ
طنطا

مصطفى صادق الرافعي

السكك الحديدية في آسيا الصغرى

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

استفاض في الناس امر السكة الحديدية البغدادية التي تجتاز آسيا الصغرى من اقصاها الى ادناها وتقرب بلاد فارس والخليج الفارسي من اوربا. وسيبلغ السير بالقطار الحديدي عما قريب الى بغداد وكانت معدودة من قبل من مدن الف ليلة وليلة. فترن صفارة البخار وتجاوبها اصداء بلاد الكلدان والفرات ويحرك المتمدن الحاضر بما خصَّ به من الصفات قبور اخلاف بختنصر. وليس الخط البغدادي اول سكة امتدت في ذاك الرجا فقد وجدت

(١) في القاموس الهجف الظليم المسن ولم يزد على هذا الحصر من انواع الطير ولكن ورد في شعر العرب نقل هذا الوصف الى النسر وقد جعل هنا في العصافير لمكان النكتة

(٢) ضمَّن الوكر معنى القفص (٣) دواليك اي مداولةً مرةً بعدَ مرةٍ